المُثَبِّتونَ لأحمدَ في المحنة

شخصيات كانت عوناً لأحمد في الثبات

د. هيثم بن قاسم الحمري

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فبين يديك أخي القارئ الكريم صفحات يسيرة، حوت في طياتها مواقف عظيمة، لشخصيات هيأها الله لنصرة أحمد في محنته، عبر نصائح غالية، وكلمات مؤثرة نافعة، أعانت أحمد على الصمود والثبات، وتقحم الصعاب والمهلكات، في حفظ الشرع والملة، ونصرة الكتاب والسنة.

جمعتها في هذه الوريقات، إبرازاً لهذه المواقف الصادقة، وإظهاراً لجميل صنع أصحابها، وبياناً لفضلهم بعد فضل الله في تقوية الإمام وتثبيته، ونصرته وتأييده، والربط على قلبه وتشجيعه، حتى يقوم مقام

الصدق الذي قامه، ويثبت في المحنة الكبرى التي ابتلي بها، مع ما فيها من تسلية لكل ممتحن في دينه، ثابت على منهجه وعقيدته.

وقد رأيت أن أذكر طرفاً من مواقف الإمام الدالة على عظم ثباته ورسوخه في هذه المحنة، قبل أن أسوق مواقف هؤلاء الناصحين في نصرة الإمام وتثبيته، فكانت هذه الرسالة في مبحثين:

- المبحث الأول: فصول في ثبات الإمام أحمد، ذكرت فيه نماذج عظيمة من ثبات أحمد ورسوخه في البلاء العظيم الذي ابتلي به.
- المبحث الثاني: المثبتون لأحمد: سردت فيه مواقف هؤلاء الصادقين في تثبيت أحمد وتأييده.

والله الميسر والمعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

✍ د. هيثم بن قاسم الحمري

٢١/ رجب/١٤٤٤ الموافق ١٢/٢/٢٠٢٣م

مملكة البحرين حرسها الله

فصول من ثبات أحمد في المحنة

ثابت وإن أجاب الجميع

ليس من السهل أن تصبر وقد جزع الكبار، وتثبت وقد تزحزحت الجبال، وتصمد وقد تضعضع الضراغم الأبطال.

وإذا أردت أن تعرف عظيم مقام الإمام أحمد في المحنة وشدة ثباته فيها فانظر إلى من أجاب فيها!

☜ **علي بن المديني**، وما أدراك ما علي، إمام الحديث والعلل الذي قال فيه البخاري: «ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني»[1] أُخذ في المحنة وامتحن فأجاب!

وثبت أحمد!

☜ **يحيى بن معين** الجبل الأشم والحافظ العلم، الذي قال فيه عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله: «ما رأيت مثله، ولا أعلم بالحديث منه»[2] امتحن فأجاب!

وثبت أحمد!

---

(١) تاريخ بغداد (٢/٣٢٢) الكامل (١/٢١٣).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٤٧).

☜ **أبو معمر القَطيعي** الإمام الحافظ، الذي كان يقول من شدة تمسكه ونشره للسنة: «لو تكلمت بغلتي لقالت: إنها سنية»[١]. امتحن هو أيضا فأجاب.

وثبت أحمد!

☜ **أبو خيثمة الحافظ** الذي قيل فيه: «يكفي قبيلة»[٢]، امتحن فأجاب، **محمد بن العلاء أبو كريب، وابن سعد، وسجادة، وسعدويه، والقواريري، وابن المنذر الحزامي، وابن أبي إسرائيل، وأبو الفضل العنبري، وأبو نصر التمار، وابن الجعد، وهشام بن عمار**، وغيرهم أئمة أعلام كلهم امتحنوا فأجابوا!

وثبت أحمد!

قال علي بن شعيب: «لولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان عاراً علينا إلى اليوم القيامة، أن قوماً سُبكوا فلم يخرج منهم أحد»[٣].

قال أبو معمر القطيعي: «لما حضرنا في دار السلطان أيام المحنة، وكان أبو عبد الله رحمه الله قد أُحضر، والناس يجيبون، وكان أبو عبد الله رجلاً ليناً، **فلما رأى الناس يجيبون انتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين الذي معه**، وعلمت أنه رجل غضب غضباً لله»[٤].

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٢٤٧).

(٢) الجرح والتعديل (٥٩١/٣) من قول يحيى ابن معين.

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١٨٤).

(٤) المحنة لعبد الغني المقدسي (ص/٤٧).

ثابت وإن كثر المخذلون

- جاءه عمه إسحاق بن حنبل يقول مشفقاً معاتباً:

يا أبا عبد الله! قد أجاب أصحابك

وقد أعذرت فيما بينك وبين الله عزوجل

وقد أجاب القوم وبقيت أنت في الحبس والضيق؟!

وأحمد ثابت لا يجيب! وقال: «يا عم، إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل فمتى يتبين الحق»[1].

- جاءه الحافظ أبو العباس الرقي وعدد من حفاظ أهل الحديث وهو محبوس بالرقة، **فجعلوا يذكرونه ما يروى في التقية من الأحاديث**، خوفا وخشية عليه لعله ينجو بنفسه فيجيب.

وهو ثابت لا يتزحزح! وقال لهم: «كيف تصنعون بحديث خباب: (إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار، ثم لا يصده ذلك عن دينه)». قال أبو العباس: فيئسنا منه![2]

- جاءه عبد الرحمن بن إسحاق قاضي المعتصم وجعل يقول مؤنباً موبخاً:

من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت؟

هذا يحيى بن معين

---

(١) المحنة لحنبل(ص:٩٥) المحنة لعبد الغني المقدسي (ص: ٥٠).

(٢) مناقب أحمد (ص: ٤٢٧) سير أعلام النبلاء (١١/٢٣٩).

وهذا أبو خيثمة، و ابن أبي إسرائيل .. أليس قد أجابوا؟! وجعل يعدد من أجاب، ويقول: ويحك أجبني![1]

وأحمد ثابت لا يجيب!

- اجتمع عليه الحاضرون في مجلس المعتصم وهو معلق يجلد والمعتصم قائم على رأسه، وفيهم إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يقولون له:

ويلك، إمامك على رأسك قائم

ويحك، الخليفة على رأسك!، مشفق عليك، وهو هذا بين يديك، فأجبه إلى ما يريد منك [2]

وهو ثابت لا يجيب!

- جاءه القائد عُجيف ينخسه بقائمة سيفه في حلقه وعنقه، ويقول:

تريد أن تغلب هؤلاء الخلق كلهم؟!

يعني الخليفة والقضاة والفقهاء والوزراء والجند! [3]

والإمام ثابت لا يجيب!

- جاءه تلميذه وصاحبه أبو بكر المروذي وهو معلق للجلد يقول له:

يا أستاذ! قال الله تعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم}!

---

(١) سيرة الإمام أحمد بن حنبل لابنه صالح (ص: ٦٣) المحنة لحنبل (ص:١٢١)

(٢) المحنة لحنبل (ص: ١٢٣) سيرة أحمد لابنه صالح (ص:٦٢) حلية الأولياء (١٩٧/٩).

(٣) المحنة لحنبل (ص:١٢١) سيرة أحمد لابنه صالح (ص:٦٢) الإبانة (٢٥٩/٦) حلية الأولياء (١٩٧/٩).

لعله يجيب تقية وإكراها فينجو بنفسه.

وهو ثابت لا يجيب!

ويقول: «يا مروذي، أضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء»[1]. -أي طلبة الحديث-.

- جاءه عمه مرة أخرى وهو معلق يجلد فقال:

يا ابن أخي قل القرآن مخلوق على التقية.

وهو ثابت لا يجيب!

ويقول: «يا عم إني عرضت نفسي على السوط فصبرت وعرضت نفسي على السيف فصبرت وعرضت نفسي على النار فلم أصبر»[2].

وقال له الجهال يا مُبْتَلَىٰ أجِبْ ... فإنك إن تأبَ الإجابةَ تُقتل

فقال علىٰ البرّ الرحيم توكلي ... أعوذ بربي من مقالة مُبطل

ويا مَنْ يُعَافِي من يشاءُ ويبتلي ... أغثني بصبر منكَ غيرَ مؤجَّل

وإن كنتَ في ذا الحالِ قدَّرْتَ مِيتَتي ... أَمِتْني سليمَ الدِّين غيرَ مُبدِّلِ

فما حَجَبَ البرُّ الرحيمُ سؤالَهُ ... لقد خصَّهُ منهُ بصبر مُعجل

فعاش حميدًا ثم ماتَ مفرداً ... بهِ أحدٌ من دهرهِ لم يمثل

فبُورك مولودًا وبورك ناشئًا ... وبورك كهلًا من أمينٍ مُعَدَّلِ

---

(١) مناقب أحمد (ص: ٤٤٦).

(٢) المحن (ص٤٥٢).

ولا الترغيب يثنيه

- جاءه الخليفة المعتصم فقال:

والله لئن أجبتني لأطلقن عنك بيدي، ولآتينك في حشمي وموالي وجندي، ولأطأن بساطك، ولأنوهن باسمك[1]. والإمام ثابت لا يجيب.

قال له:

يا أحمد! الله الله. يا أحمد، والله إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني[2]!

والإمام يأبى أن يجيب أو يداهن.

قال له:

يا أحمد ويحك والله لقد غمني أمرك ولقد أسهرت ليلي[3].

ويحك يا أحمد، تقتل نفسك؟ ويحك، أجبني حتى أطلق عنك بيدي!

يا أحمد، علام تقتل نفسك، إني والله عليك شفيق؟![4]

والإمام ثابت لا يغير ولا يبدل.

قال ابن ابي دؤاد رافعاً صوته:

يا أمير المؤمنين والذي لا إله إلا هو؛ لئن أجابك لهو أحب إلي من مائة وألف ومائة ألف عددًا مرارًا كثيرة[5].

والإمام غير مبال ولا مكترث!

---

(١) المحنة لحنبل (ص:١١١) الإبانة لابن بطة (٢٥٣/٦).

(٢) مناقب أحمد (ص:٤٣٧) السير (٢٤٧/١١).

(٣) المحنة لحنبل (ص:١٠٧).

(٤) مناقب أحمد (ص:٤٤٢) تاريخ الإسلام (١٠٧/١٨).

(٥) الإبانة (٢٥٣/٦) المحنة لحنبل (ص:١١٤).

ولا طول الحبس والقيد يضجره

سجنوه قرابة ثلاثين شهراً، وهو ثابت لا يجيب[١].

قيدوه بالقيود الثقيلة في سجنه، وحُمل بالقيود من بغداد مروراً بسوريا إلى طرسوس في تركيا مسيرة شهر وهو ثابت صابر[٢].

ثم أعيد إلى بغداد بقيوده مسيرة شهر آخر، وهو ثابت صابر[٣].

أبقوه في السجن وأبقوا القيود عليه لم يخلعوها، وزادوا عليها شيئا فشيئا حتى عجز عن المشي بسببها، فأخذ الرباط الذي يربط به سراويله فربط به القيود وحملها بيده، ولف سراويله بغير رباط ولا خيط! وهو في كل ذلك ثابت لا يجيب[٤].

كان يصلي بأهل الحبس بقيوده، وكان قيده قيداً واسعاً فكان إذا صلى يخرج إحدى الحلقتين من إحدى رجليه ويشدها على ساقه، ثم يعيدها لموضعها بعد الصلاة، وحملوه إلى دار المعتصم فوق دابة فثقلت الأقياد عليه حتى كاد يسقط لولا أن الله سلم، وأدخل على الخليفة وهو بتلك الحال، ولكنه ثابت لا يتغير[٥].

فَقَدْ كَانَ كَالصِّدِّيقِ فِي يَوْمِ رِدَّةٍ وَعُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ فِي الصَّبْرِ إِذْ بُلِي

---

(١) انظر: سيرة الإمام لابنه صالح (ص:٥١) مناقب أحمد (ص:٤٤٤) سير أعلام النبلاء (٢٤٣/١١).

(٢) انظر: سيرة الإمام لابنه صالح (ص:٥٠).

(٣) انظر: سيرة الإمام لابنه صالح (ص:٥١).

(٤) انظر: سيرة الإمام لابنه صالح (ص: ٦٠) المحنة لحنبل (ص: ٩٨) ومناقب أحمد (ص:٤٣٣).

(٥) انظر: المحنة للمقدسي (ص:٣٥).

جمعوا له نحو خمسين مناظراً يناظرونه ويجادلونه بحضرة الخليفة[1]، وهو ثابت لا يجيب. و"من قام لله بصدق انخنس دونه كلّ مبطل"[2].

(١) انظر: الإبانة الكبرى (٦/ ٢٥٩) المحن (ص:٤٥٢).

(٢) لطائف الإشارات (١/ ٤٣٣).

ولا التهديد يرعبه

- بلغه قول المأمون وهو محمول إليه:

« لئن وقعت عيني على أحمد لأقطعنه إرباً إرباً »[١].

والإمام ثابت لم يجبهم إلى ما أردوا!

- جاءه أحد الخدام وهو محمول إلى المأمون فقال:

«عز علي يا أبا عبد الله أن جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط، وبسط نطعاً لم يبسطه قط، وقال: وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا دفعت عن أحمد وصاحبه حتى يقولا: القرآن مخلوق»[٢].

وأحمد ثابت لا يجيب! وقال متوجها لربه: «سيدي غر هذا الفاجر حلمك»[٣].

- قال له إسحاق والي بغداد قبل دخوله على المعتصم:

«يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك فى موضع لا ترى فيه الشمس»[٤].

والإمام ثابت لا يجيب!

---

(١) المحنة للمقدسي (ص:٣٤).

(٢) المحنة للمقدسي (ص:٣٨) حلية الأولياء (١٩٤/٩).

(٣) المحنة للمقدسي (ص:٣٨).

(٤) سيرة أحمد لابنه صالح (ص:٥٣) حلية الاولياء (١٩٧/٩) مناقب أحمد (ص:٤٣٢) السير (٢٤٣/١١).

- أعادها عليه ابن أبي دؤاد فقال:

«يا أحمد إنه قد حلف أن يضربك ضرباً شديداً، وأن يحبسك في أضيق الحبوس»[1].

فلم يأبه له.

- قال المعتصم: «ما رأيت ابن أنثى أشجع من هذا الرجل»[2].

- قال صاحب شرطة المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب: «ما رأيت أحداً لم يداخل السلطان ولا خالط الملوك أثبت قلباً من أحمد يومئذ، **ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب**»[3].

وإذا هُمُ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ فَزِعًا لِحَمْلَتِهِمْ وَلَا بِجَبَانِ
لَا تَخشَ كَثْرَتَهُم فهمْ هَمَجُ الوَرَى وذُبابُه أَتَخافُ مِنْ ذِبَّانِ

(1) المحنة لحنبل (ص:١١٤) وانظر: سيرة أحمد لابنه صالح (ص:٦٠).
(2) الإبانة الكبرى (٦/٢٦٦).
(3) المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي (ص: ٨٩) السير (١١/٢٤٠).

ومع التعذيب ثابت

جروا الإمام بقيدوه من بساط السلطان إلى ساحة التعذيب نحو مائة ذراع، وهو ثابت لا يجيب[١].

جردوه من قميصه ورفعوه ليعلقوا يديه للجلد، فتخلعت يداه من شدة السحب، وهو ثابت لا يجيب[٢].

أحضرت السياط فنظر لها المعتصم ولم تعجبه فقال: ائتوني بغيرها![٣] ولم يكتفوا بجلاد واحد بل أحضروا عدة جلادين [٤] يراهم أحمد خلفه بسياطهم، وهو ثابت لا يجيب!

لَمْ يَخَفْ سَـــوْطُهُمْ إِذْ خَوفُوا لَا وَلَا سَـــيْفُهُمْ حِينَ لَمَعْ

أمرهم المعتصم بالجلد فتقدم أحدهم فبدأ بالضرب والمعتصم يصيح به: «شُد قطع الله يدك»، فيشد، «شُد قطع الله يدك»، فيضرب بكل ما أوتي من قوة[٥]، والإمام ثابت لا يجيب.

يتنحى الأول ويتقدم غيره للجلد والمعتصم يصيح: «شدوا قطع الله أيديكم.. شدوا قطع الله أيديكم»[٦]، وهم يضربون بكل ما أوتوا من قوة، والإمام يضطرب من شدة الجلد وقسوته، وضربات الجلادين منها ما يقع على ظهره ومنها ما يصيب وجهه، ومقدمه وخاصرته، حتى

---

(١) انظر: الإبانة (٦/٢٦٥).

(٢) انظر: المحن (٤٥٢) حلية الأولياء (٩/١٩٧) المناقب (ص:٤٤٢) البداية والنهاية (١٤/٤٠٣).

(٣) المحنة لحنبل (ص:١٢٠) مناقب أحمد (ص:٤٤٢) طبقات الشافعية (٢/٤٩).

(٤) جاء في المحن (ص٤٥٠): «ووقف له **ستين جلادا ثلاثين** ناحية وثلاثين ناحية».

(٥) انظر: المحنة لحنبل (ص:١٢٠) سيرة أحمد لابنه صالح (ص:٦٢) المحن (ص:٦٣) حلية الأولياء (٩/١٩٧)

(٦) مناقب أحمد (ص:٤٤٢) المقفى الكبير (١/٤٩٢).

انقطعت لحمة أذنه بأحد السياط وأنتنت بعد ذلك[1]، وهو ثابت لا يجيب.

في موقفٍ ينسىَ الحليمُ سدادهُ ... ويطيشُ فيهِ النابهُ البيطارُ

ولم يبرحوا يضربونه ويشتدوا عليه بالضرب حتى ذهب عقله، وقد ذهب عقله من شدة الضرب مراراً، فلما أحس المعتصم أنه مات أرعبه ذلك وأمر بتخليته، فطرحوه على وجهه وداسوه رضي الله عنه، ولم يفق إلا وهو في السجن، وقد امتلأت ثيابه بالدماء[2].

كل ذلك وهو ثابت لم يتغير.

ومن لم يزل في سنة اللَّه صابرًا ... على الضربِ والأنكالِ والسجن مُذْ بُلي
كأني أرى الجلاد يثني سياطهُ ... على بدنٍ بَالٍ من الصومِ مُنْحَلِ
وأعضاؤهُ تجري الدماءَ كأنها ... عيونٌ إذا ما السوط منكبه عَلي
وقد وهنتَ من شدةِ الضربِ نفسهُ ... وحسَّ دَبِيبَ الموتِ في كُلِ مَفْصِلِ

يقول من تولى علاجه: «والله لقد رأيت من ضُرب ألف سوط، ما رأيت ضرباً مثل هذا ولا أشد منه، وهذا ضرب التلف، ولقد جر عليه الجلادون -قد الله أيديهم- من قدامه ومن خلفه، وإنما أُريد قتله»[3].

وروي عن شاباص التائب أنه قال: «لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته فيلاً لهدّتْه»[4]

---

(1) انظر: المحنة لحنبل (ص:١٢٨) والمحنة للمقدسي (ص:٦٤)

(2) انظر: ذكر المحنة لحنبل (ص: ٤١) سيرة أحمد لابنه صالح (ص:٦٣) حلية الأولياء (ص:٤٤٣) المناقب (ص:٤٤٣) السير (٢٥٣/١١).

(3) المحنة للمقدسي (ص:٥٩).

(4) المحنة للمقدسي (ص:٨٧) مناقب أحمد (ص:٤٥٠) سير أعلام النبلاء (ص٢٩٥/١١).

وبقي أثر الضرب بيناً في ظهره إلى أن توفي رحمة الله عليه -أي أكثر من عشرين عاما- وكان إذا أصابه البرد اشتد عليه الألم، وبقيت يده وإبهامه متخلعتين يضربان عليه إذا أصابهما البرد حتى يُسخن له أهله الماء[1]، رحمه الله وغفر له.

دَعَوْهُ إِلَى خَلْقِ القُرَانِ كَمَا دَعَوا ... سِوَاهُ فلَمْ يَسْمَعْ وَلَمْ يَتَأَوَّلِ
ولا رَدَّهُ ضَرْبُ السِّيَاطِ وسَجْنُهُ ... عن السُّنَّةِ الغَرَّاءِ والمَذْهَبِ الجَلِي
لَقَدْ عاشَ في الدُّنْيا حَمِيداً مُوَفَّقاً ... وَصارَ إِلى الأُخْرَى إلى خَيْرِ مَنْزِل [2]

وكان الأمر كما قال بشر بن الحارث رحمه الله: « أدخل أحمد الكير فخرج ذهبا أحمر»[3].

وقال علي بن المديني: «أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة»[4]

بل قال الميموني: «قال لي علي بن المديني بعدما امتحن أحمد: يا ميموني، **ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل**.

فعجبت من هذا عجبًا شديدًا، وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، فحكيت له مقالة علي بن المديني؟

فقال: صدق، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصارًا وأعوانًا، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان.

---

(١) انظر: المحنة لحنبل (١٢٧) والسير (٢٦١/١١) المحنة للمقدسي (ص:٦٣-٦٤)

(٢) مناقب أحمد (ص: ٥٨١).

(٣) مناقب الإمام أحمد (ص١٥٧)

(٤) طبقات الحنابلة (١٣/١) مناقب أحمد (ص:١٤٨).

ثم أخذ أبو عبيد يُطْري أحمد ويقول: لست أعلم في الإسلام مثله»[١].

لله ما لقى ابن حنبل صـــابراً عزمـاً وتبصـــرة بلا أعوان[٢]

قال إسحاق بن راهويه: «لولا أحمد بن حنبل، وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام»[٣].

وقال الحافظ أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده: «قام لله تعالى مقاما لولاه لتجهم الناس...ولضعف الإسلام، واندرس العلم»[٤].

والفضل لله أولاً وآخراً.

(١) تاريخ ابن عساكر (٢٧٨/٥) تهذيب الكمال (٤٥٢/١) المحنة للمقدسي (ص:٢٣).

(٢) منازل الأئمة الأربعة (ص٢٥٨) ذيل طبقات الحنابلة (٥٣/١).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٧١).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٢٩ ت الفقي)

المثبتون لأحمد

حديثنا في هذا الفصل عن شخصيات انغمر ذكرها في طيات صبر أحمد وثباته، شخصيات هيأها الله لتكون عوناً للإمام وسببا لتثبيته وسط خذلان الأصدقاء وعنفوان الأعداء، وتخذيل الأقارب والأحباب، وتسلط أهل الهوى والارتياب.

نعم ..لم يملك هؤلاء إعانة أحمد بأيديهم، ولكنهم لم يتوانوا عن تثبيته بكلماتهم التي كانت مسامع أحمد أشوق ما تكون لها، وكان قلبه أحوج ما يكون إليها، في موقف تزعزعت فيه أئمة أبطال، وتضعضعت فيه رواسي الجبال.

لقد كان ثبات أحمد ثباتاً للأمة فكان فضل أحمد على الأمة عظيما، قال قتيبة بن سعيد: «ما أعظم منة أحمد بن حنبل على جميع المسلمين، حق على كل مسلم أن يستغفر له»[1] وهؤلاء الصادقون كان لهم نصيب من هذا الفضل، لأنهم كانوا سببا من أسباب ثبات هذا الإمام ورسوخه، ولذلك كان حرياً أن تبرز شخصياتهم وتظهر، ليذكر الفضل لأهله، ويعود الجميل لمستحقه.

وقد رأيت أن أرتبهم حسب ترتيب تثبيتهم للإمام في الزمان فأبدأ بالأسبق فالأسبق، وهم كالتالي:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٢٤٣)

أبو جعفر الأنباري

التعريف به:

هو الإمام المحدث محمد بن عبد الله الأنباري أبو جعفر الحذاء، أحد شيوخ أحمد الذين روى عنهم، ولعظيم مكانته في السنة قال أبو العباس بن أصرم رحمه الله: «إذا رأيت الأنباري يحب أبا جعفر الحذاء ومثنى بن جامع الأنباري فاعلم أنه صاحب سنة»[1] توفي (بعد ٢٢١هـ)[2].

الحادثة:

بعد رفض الإمام أحمد ومحمد بن نوح للإجابة عند والي بغداد إسحاق بن إبراهيم جاء أمر المأمون بحملهما إليه في طرسوس، فقيدوا بالأقياد وأُخرجوا من بغداد متوجهين إلى طرسوس.

بلغ أبا جعفر للأنباري خبر محمل الإمام للمحنة فذهب ليدرك الإمام وعبر الفرات وسار حتى وجد الإمام جالساً في الخان وهو المكان الذي يعد لاستراحة المسافرين، فسلم على الإمام.

فلما رآه أحمد قال: يا أبا جعفر تعنيت؟!

فقال: ليس في هذا عناء.

ثم قال أبو جعفر مخاطباً الإمام: «يا هذا، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى القول بخلق القرآن ليجيبن بإجابتك

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار (٣/ ٤١٤)

(٢) تاريخ بغداد ت بشار (٣/ ٤١٤) الأنساب للسمعاني (٤/ ٩٧)

خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، **ومع هذا إن الرجل إن لم يقتلك، فأنت تموت، ولا بد من الموت**، فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء».

وقعت هذه الكلمات موقعاً عظيماً من قلب الإمام أحمد فجعل يبكي ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

ثم قال: أعد علي ما قلت. فأعاد عليه أبو جعفر.

فقال: ما شاء الله، ما شاء الله.

فانظر إلى هذه الكلمات اليسيرة ما أصدقها وما أعظمها، وانظر إلى شدة وقعها في قلب أحمد إذ لم يملك نفسه فبكى تأثراً بها، وانظر لشدة حاجته لها حيث طلب إعادتها مرة أخرى، ليتزود بها على الصبر والثبات.

فرحم الله أبا جعفر ورحم الله أحمد.

المصادر:

تاريخ ابن عساكر «٥/ ٣١٢»، وطبقات الشافعية الكبرى «٢/ ٣٦» مناقب الإمام أحمد «ص٤٢٣» المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي «ص: ٣١».

محمد بن نوح

التعريف به:

هو: محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب، قال الخطيب: «كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئًا يسيرًا»[1]. وقال الصفدي: «كان محمد عالمًا، زاهدًا، ورعًا، مشهورًا بالسنة والدين والثقة، امتحن بالقول بخلق القرآن فثبت على السنة»[2] وكان جاراً للإمام أحمد فيما يقال، توفي (٢١٨ هـ)[3].

الحادثة:

يقول الإمام أحمد رحمه الله حاكياً تثبيت محمد بن نوح له في مسيرهم إلى المأمون: «ما رأيت أحداً على حداثة سنه، وقلة علمه، أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير.

قال لي ذات يوم وأنا معه جالس: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، ولست مثلك، إن الله ابتلاني فأجبت فلا تقتاس بي، أنت رجل يقتدى بك، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا من الكلام

قال أبو عبد الله: فتعجبت من تقويته ومن موعظته إياي.

---

(١) تاريخ بغداد (٥١٧/٤)

(٢) الوافي بالوفيات (١٣٨/٢)

(٣) ينظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٣٢٢/٣)، والمنتظم (٣١٣/٣)، والوافي بالوفيات (١٣٨/٢).

ثم قال أبو عبد الله: وانظر بما ختم له؛ فلم يزل كذلك ومرض حتى صار إلى بعض الطريق فمات، فصليت عليه ودفنته».

فانظر إلى هذا الرجل الصادق مع حداثة سنة وقلة علمه، كيف يحرص على تثبيت إمام السنة وعالمها في زمنه، ويوصيه ويصبره، ويموت على ذلك، ولا ينسى الإمام كلماته الصادقة، ولا أفعاله الراسخة، إذ لم يبق من محدثي بغداد وعلمائها وفقهائها الذين امتحنوا مع أحمد أحد إلا هو رحمه الله وغفر له.

المصادر:

المحنة لحنبل (ص:٩٠) تاريخ بغداد الحلية «٩/ ١٩٤» المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي «ص:٣٣، ٣٥».

رجل يعرفه أحمد

- **التعريف به:**

لم يأت في الرواية ذكر اسم الرجل ولا التعريف به وإنما غاية ما فيها أنه رجل عرفه أحمد بصفته، وكان هذا الرجل لا يأوي المدائن والقرى وعليه عباءة قد شدها على عنقه.

- **الحادثة:**

بينما الإمام في مسيره إلى المأمون للمحنة، وقد بلغ عانة وهي منطقة في شمال العراق على مقربة من سورية، وهو في المحمل على جمل، قال أحمد بن غسان: فبينا نحن نسير إذ قرع قارع المحمل، فأشرف أحمد فإذا هو برجل فعرفه أحمد بالصفة، وكان لا يأوي المدائن والقرى وعليه عباءة قد شدها على عنقه، فقال: يا أبا عبد الله، إن الله قد رضيك له وافداً، فانظر ألا يكون وفودك على المسلمين وفوداً مشئوماً، **واعلم أن الناس إنما ينتظرونك لأن تقول فيقولوا، واعلم أنما هو الموت والجنة**».

المصادر:

حلية الأولياء «١٩٤/٩» المحنة للمقدسي «ص:٣٧» المقفى الكبير «٤٨٨/١».

أعرابي من ربيعة

- **التعريف به:**

رجل من العرب من ربيعة، يعمل الشعر والصوف في البادية، يقال له جابر بن عامر، يُذْكَر بخير، هكذا جاء وصفه وتسميته في الرواية.

- **الحادثة:**

بينما الإمام في مسيره إلى المأمون في المحنة، وقد تجاوزوا العراق ووقف بهم الرحل في رحبة طوق من بلاد سوريا، وقد كان ذهن الإمام منشغلاً بما هم فيه وكيف سيكون حالهم عند الوصول للمأمون قال رحمه الله: «فعامة من كان معنا ناموا، فجعلت أفكر في تلك البرية، وماذا أقول إذا صرت إلى ذلك؟ فأنا في تلك الحال إذ مددت بصري إذا بشيء لم أستبنه، فلم يزل يدنو حتى استبان، فإذا بأعرابي عليه ثياب الأعراب قد دنا، وجعل يتخطى تلك المحامل حتى صار إلي، فوقف علي فسلم ثم قال: أنت أحمد بن حنبل؟

فسكت الإمام تعجباً، فقال الأعرابي: أنت أحمد بن حنبل؟

فسكت الإمام ولم يجبه، فبرك على ركبتيه وقال: أنت أبو عبد اللَّه أحمد بن حنبل؟ فقال الإمام: نعم.

فقال الأعرابي: تحب اللَّه؟

قال أحمد: نعم.

قال: فإنك إن أحببت اللَّه أحببت لقاءه.

وقال الأعرابي: يا أحمد ما عليك أن تقتل ههنا، وتدخل الجنة ههنا أبشر واصبر، فإنما هي ضربة هاهنا، وتدخل الجنة هنا.

يا أحمد إن يقتلك الحق تمت شهيداً، وإن تعش تعش حميداً.

ثم سلم وانصرف.

فانظر إلى هذا الأعرابي الذي يعد من عامة الناس كيف قال هذه الكلمات الصادقات النافعات واعظاً وناصحاً ومثبتاً لإمام الدنيا في وقته! وانظر إلى عظيم أثر هذه الكلمات في قلب الإمام حيث قال: «ما سمعت كلمة كانت أوقع في قلبي من كلمته»[1]، وقال: «ما ثبتني في الأمر الذي نزل بي ما ثبتني ذلك الأعرابي»[2]. وقد بقي تأثير هذه الكلمات النافعة على أحمد حتى في أحلك الظروف وأشدها قال أحمد: «لما ضربت بالسياط جعلت أذكر كلام الأعرابي وأنا أضرب»[3].

فانظر يا رعاك الله ما أعظم أثر الكلمات الصداقة، وأعمق نفعها، لقد كان لهذا الأعرابي الذي لا يعلمه إلا الله دور أساس في ثبات أحمد ورسوخه، فله منة وفضل في رقاب أهل السنة إلى يوم القيامة جزاه الله عنا وعن الإسلام خيرا.

المصادر: المحنة لحنبل (ص:٨٩) سيرة أحمد لابنه صالح «ص٥٠»، الحلية «١٩٦/٩»، المحنة للمقدسي «ص: ٤٨، ٣٢، ٣٧».

---

(١) مناقب أحمد (ص:٤٢٣).

(٢) منازل الأئمة الأربعة (ص:٢٥٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٥٩/١١).

بعض أهل الحبس في الرقة

- **التعريف به:**

رجل من أهل الحبس المسجونين في بلدة الرقة بالشام، ولم يأت في الرواية ذكر اسمه أو أي معلومات أخرى عنه.

- **الحادثة:**

عندما صار الإمام أحمد على مقربة من طرسوس –موضع الخليفة المأمون- في الرقة أو قريباً منها وأدخل أحمد الحبس، جاءه أبو العباس الرقي أحد حفاظ الحديث ومعه بعض أهل الحديث فجلعوا يُذكرونه بجواز التقية وما يروى في جوازها من الأحاديث، لعله يجيب تقية فينجو بنفسه، ويتقي المأمون وشره، فأبى أحمد ذلك وقال لهم: «وكيف تصنعون بحديث خباب: (إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار، ثم لا يصده ذلك عن دينه)؟! ». فيئسوا منه.

ثم أخبرهم أحمد أنه لا يخشى الموت ولا يخشى الحبس، وإنما الذي يخشاه أن لا يثبت أمام تعذيب السياط فيجيب، فهو وإن كان الإمام الراسخ إلا أنه يعتريه ما يعتري البشر فقال رحمه الله مخاطباً لهم: «لست أبالي بالحبس ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، **إنما أخاف فتنة السوط. وأخاف ألا أصبر**».

فسكت أبو العباس ومن معه من أهل الحديث، وسمع هذه المقالة رجل من أهل الحبس فقال: «**لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوط ثم لا تدري أين يقع الثاني**».

قال الراوي: فكأنه سُري عنهُ. ا.هـ

إنها كلمات بسيطة رفعت من همة الشيخ وجأشه، وكانت كالماء البارد الذي أطفأ حرارة القلق في قلبه، وجعلت عزيمته على الصبر والثبات أكثر وأكبر، فرحم الله قائلها ونفس عن قلبه هم القيامة وكربها، كما نفس عن أحمد ما كان فيه.

المصادر:

مناقب أحمد «ص:٤٢٧» المحنة لعبد الغني المقدسي «ص:٤٠».

أبو توبة الحلبي

التعريف به:

هو الإمام أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي، كان أحد أئمة السنة الثقات، نزل طَرَسُوس فكان شيخها وعالمها، قال الذهبي: الإمام، الثقة، الحافظ، بقية المشايخ. وهو صاحب المقولة المشهورة: «معاوية ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه»[1]، توفي (٢٤١هـ)[2].

الحادثة:

عندما بلغ الإمام أحمد طرسوس أو قريباً منها وحبس فيها بانتظار قدومه على المأمون، جاءه عدد من محدثي الرقة يذكرونه بأحاديث التقية والإكراه لعله ينجو بنفسه ويحفظها، ولما بلغ أبا توبة قدوم أحمد للمحنة جاء فدخل على أحمد وقال:

«يا هذا، إن أعين الناس ممدودة إليك، فإن كنت تعلم أنك تقوم المقام الذي فيه استنقاذك واستنقاذ الخلق فيما بينهم وبين الله تعالى، وإلا فاجعل الذي في رجلك في رجلي، وقم فاخرج»

فقال أحمد: «يا هذا أتظن أن نفسك أعز علي من نفسي؟ لا آثرتك بهذا المقام أبداً».

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٢٠٩/٥٩) البداية النهاية (٤٥٠/١١).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٥٦) البداية والنهاية (٨/ ١٤٨).

فانظر إلى هذه الكلمات العظيمة التي جعلت من هذا المقام الذي يشفق الناس على صاحبه ويرحمونه، مقاماً يسعى المرء إليه ويجتهد في الحصول عليه ويتنافس الفضلاء على نيله!

إن مثل هذه الكلمات وإن كانت يسيرة في ألفاظها، إلا أن لها في نفوس الصادقين شأناً عظيماً، وفيها من بعث الهمم وإيقاظ العزائم، والتنبيه على مصالح ومنافع وأجور هذه المحن ما يكفي، فرحم الله أبا توبة وغفر له وجزاه عن أحمد والمسلمين خير الجزاء.

المصادر:

المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي «ص: ٣٦».

آدم بن أبي إياس

- **التعريف به:**

إنه الإمام المحدث الثقة شيخ الإمام البخاري أبو الحسن آدم بن أبي إياس، أصله من خراسان ومنشؤه بغداد، واستوطن عسقلان فعرف بالعسقلاني، كان مشهورا بالسنة شديد التمسك بها، والحض على اعتقادها، توفي (٢٢٠هـ)، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. قال أبو حاتم: « ثقة مأمون. متعبد من خيار عباد الله»[١].

- **الحادثة:**

قضى الله بموت المأمون قبل أن يلقى أحمد ويمتحنه وصارت الخلافة للمعتصم، وعاد أحمد وابن نوح إلى بغداد، ووضعوا في سجنها، وكان الإمام آدم بن أبي إياس حينها في بلاد عسقلان من أرض فلسطين في الشام، وقد تجاوز الثمانين من عمره، فلما بلغه خبر المحنة التي حدثت لعلماء العراق وإجابة أكثرهم وثبات الإمام ودخوله السجن بسبب ذلك قال: « حبسوا أحمد بن حنبل وقالوا: قل: القرآن مخلوق. إنا لله وإنا إليه راجعون، أعداء الإسلام»[٢].

وجاءه في ذات يوم أبو بكر الأعين فقال له: إن عبد الله بن صالح كاتب الليث يقرئك السلام –وكان ممن أجاب في المحنة-.

---

(١) انظر: الكمال في أسماء الرجال (١٩٦/٣) سير أعلام النبلاء (٣٣٦/١٠).

(٢) المحنة للمقدسي (ص: ٤١).

فقال آدم: لا، لا تقرئني منه السلام، ولا تقرئه مني السلام.

فقلت: ولم؟

قال: لأنه قال: القرآن مخلوق.

قال: فأخبرته بعذره، وأنه أظهر الندامة وأخبر الناس برجوعه عن ذلك.

قال: إن كان ذلك فأقرئه مني السلام.

ثم قال أبو بكر: إني أريد الخروج إلى بغداد، فهل لك من حاجة؟

قال: نعم، ائت أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام، وقل له: **يا هذا، اتق الله وتقرب إلى الله بما أنت عليه، ولا يستفزنك أحد عن دينك، فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة**، وقل له: حدثنا الليث ابن سعد، عن ابن عجلان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أرادكم على معصية فلا تطيعوه)).

قال أبو بكر: فأتيته وهو في السجن فأقرأته السلام وأخبرته بالكلام والحديث.

فأطرق ملياً وقال: «رحمه الله حياً وميتاً، فلقد أحسن النصيحة».

عندما تأتي مثل هذه الكلمات الصادقة إلى الإمام أحمد وهو في غربة السجن وكربته، مبعوثة من عالم جليل له في الإسلام منزلته وقدره، فلا تسأل عن تأثيرها في ثبات قلبه ورباطه جأشه، ومن أجل ذلك أطرق أحمد مليا، ودعا بالدعوة الصادقة: «رحمه الله حياً وميتاً، فلقد أحسن النصيحة».

المصادر:

المحنة للمقدسي «ص:٤١- ٤٢» تاريخ بغداد «٣٤٤٥» مناقب أحمد «ص:٤٢٩».

أبو الهيثم خالد الحداد

- **التعريف به:**

قال للإمام أحمد معرفا بنفسه: «أنا أبو الهيثم العيار، اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق»، وكان الإمام أحمد كثير الدعاء له بالمغفرة والرحمة، وكان ممن يضرب به المثل في الصبر على التعذيب والجلد لكثرة ما اقترف، وكان يجلس غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب، وكانت آفته حب الرئاسة[1].

- **الحادثة:**

يقول عبد الله بن أحمد رحمه الله: «كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم.

فقلت: يا أبت: من أبو الهيثم؟

قال: ألا تعرفه؟

قلت: لا.

قال: أبو الهيثم الحداد، اليوم الذي خرجت فيه للسياط، ومدت يداي للعقابين، إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟

قلت: لا.

---

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١١/ ٤٢) تلبيس إبليس (ص٣٤٧).

قال: أنا أبو الهيثم العيار، اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، **وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين. ا.هـ**

إن تأثير مثل هذه الكلمات عندما تخرج من مثل هذا الرجل أعظم بكثير من تأثيرها عندما تخرج من أهل العلم والصلاح، فلله ما أصدقها من عبارة وما أعظم وقعها في قلب كل من يقرأها أو يسمعها فكيف بوقعها في قلب أحمد وهو في مثل تلك الحال، ولذلك لا تعجب عندما تقرأ كثرة دعاء الإمام له بالرحمة والمغفرة، فقد جعله الله سبباً في صبر الإمام وثباته، وسمع منه كلمات قد افتقد سماعها ممن كان يحسب أنهم سيصبرونه ويثبتونه من العلماء والأصحاب والأحباب.

اللهم ارحم أبا الهيثم، اللهم اغفر لأبي الهيثم، واجزه عن أحمد وعن المسلمين خيرا.

المصادر:

مناقب أحمد «ص:٤١٢» المحنة للمقدسي «ص: ٨٦» تلبيس إبليس «ص:٣٤٧» وصفة الصفوة «٤٨٥/١» والمقفى الكبير «٤٩٤/١» المجالسة وجواهر العلم «٣/ ١٢٧».

طلبة الحديث وبعض أهل السجن

- **الحادثة:**

في اليوم الذي أحضر فيه أحمد لجلده عند الخليفة المعتصم، سمع بذلك طلبة الحديث فاجتمعوا في رحبة دار الخلافة ومعهم الأقلام والصحف، وبلغ أحمد ذلك، فعلم أنهم ينتظرون ما يبلغهم من قوله ليكتبوه.

وجاءه كتاب أهل السجون وفيه: إن رجعت عن مقالتك ارتددنا عن الإسلام.

ومرادهم بذلك أنهم سيجيبون للقول بخلق القرآن إن لم يثبت أحمد وأجاب لهذا القول.

وهذه المواقف العملية من هؤلاء هي ترجمة واقعية لما قاله له أبو جعفر الانباري في وصيته لأحمد: « أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى القول بخلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ».

وما قاله له الأعرابي: « واعلم أن الناس إنما ينتظرونك لأن تقول فيقولوا».

وما قاله له أبو توبة: « يا هذا إن أعين الناس ممدوة إليك»

وهي مصداق ما قاله ابن نوح له في وصيته: «أنت رجل يقتدى بك، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله».

ولما رأى الإمام ما نصحه به هؤلاء الصادقون واقعاً مشاهداً ازداد يقينا وثباتا وإدراكاً لأهمية صبره، وعظم المسئولية أمامه إذ إن ثباته لم يعد ثباتاً لأحمد فحسب وإنما ثبات الأمة جمعاء.

وقد كان لهذا الموقف من طلبة الحديث أثرٌ كبير في قلب أحمد ويؤكد ذلك ما حكاه تلميذه أبو بكر المروذي، حيث جاء والإمام قد أوقف للجلد محاولاً أن يقنعه بالإجابة حفظاً لنفسه ورحمة به فقال: يا أستاذ، قال الله تعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم}؟

فقال له الإمام أحمد: يا مروذي، اخرج، انظر أي شيء ترى.

قال المروذي: فخرجت إلى رحبة دار الخلافة، فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم إلا الله، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم. فقلت لهم: أي شيء تعملون؟

قالوا: ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه. فقال المروذي: مكانكم، فدخل فقال للإمام: لقد رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه.

فقال: يا مروذي، **أضل هؤلاء كلهم؟! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء.**

فمثل هذا الموقف جعل الإمام أحمد يؤثر الموت على الإجابة أو الاستسلام فلله دره وعلى الله أجره.

المصادر:

المناقب «ص:٤٥٧» صفة الصفوة «١/ ٤٨٥» المحنة للمقدسي «ص:٨٨ - ٨٩» مرآة الزمان «١٤/٢٣٩».

وهناك مثبتات

أختم هذه المواقف بذكر موقف آخر حدث في وقت المحنة، ولكنه لم يكن في تثبيت الإمام أحمد وإنما في تثبيت الإمام عاصم بن علي الواسطي رحمه الله.

الحادثة:

لما بلغ الإمام عاصماً ضرب أحمد رحمه الله في اليوم الذي جُلد فيه، صاح في من معه: ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجل فنكلمه.

فسكت القوم.

فقام إبراهيم بن أبي الليث وقال: يا أبا الحسين، أنا أقوم معك. فقاما ليذهبا للمأمون لمناصحته.

ولما بلغ ابنتي عاصم ما ينوي أبوهما فعله، أرسلتا بكتاب إلى أبيهما جاء فيه: «يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل فضربه بالسوط على أن يقول: القرآن مخلوق، **فاتق الله ولا تجبه إن سألك، فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت وأجبت**»[1].

(1) المحنة للمقدسي «ص: ٨٨»، تاريخ بغداد (١٤/ ١٧٠).

من الدروس المستفادة

هذه أخبار من وقفت عليهم من المثبتين للإمام أحمد في محنته من أصحاب الكلمات الصادقة التي خرجت من قلوب ملؤها الإيمان، وغايتها فيما نحسب رضى ربها الرحمن، وفي تلك المواقف دروس عظيمة وعبر كثيرة ومن أهم تلك الدروس المستفادة:

- إن لم تطق نصرة الحق بيدك فلا أقل من أن تنصره بكلمتك
- إن لم تكن أحمد فلا أقل من أن تكون الأعرابي أو أبا الهيثم
- إن لم تكن عالماً صادعاً بالحق، فلا أقل من أن تكون ناصراً مؤيداً لأهل الحق.
- لأن تبقى على عقيدة صالحة مع الذنوب والعصيان خير من أن تكون عالماً عابدا مع الضلال والبدعة والطغيان، فإن أبا الهيثم لصٌ طرار كان عوناً في حفظ الدين وتثبيت إمام المسلمين، وابن أبي دؤاد معدود من القضاة العالمين وكان هو الساعي لهدم الدين.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

وأخيراً

الصدق سر الثبات

لم تكن كلمات هؤلاء الرجال الصالحين والعلماء الناصحين تؤدي ثمرتها، لولا توفيق الله ثم الصدق واليقين الذي وقر في قلب الإمام وتحلى به.

قال أبو زرعة الرازي: قلت لأحمد بن حنبل: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟

فقال: « **لو وضع الصدق على جرح لبرأ** »[1]، الله أكبر ما أعظمها من كلمة، نعم: "لو وضع الصدق على جرح لبرأ".

"فجزاه الله عن الإسلام والسنة خيراً، فلقد كان للإسلام والسنة كهفاً ولأهل الحق معقلاً "[2]

إذا مُيِّز الأشياخُ يومًا وحُصِّلوا ... فأحمدُ من بين المشايخ جَوْهَرُ

هُوَ الْمِحْنَةُ الْيَوْمَ الَّذِي يُبْتَلَىٰ بِهِ ... فَيُعْتَبَرُ السُّنِّيُّ فِينَا وَيُسْبَرُ

شَجًى في حلوق الملحدين وقرةٌ ... لأعينِ أهلِ النسك عفٌّ مشمِّر

إذا افتخر الأقوامُ يومًا بسيِّد ... ففيه لنا -والحمد لله- مفخَرُ

سلامٌ عَديد القطرِ والنَّجمِ والثَّرى ** على أحمد البرِّ التَّقي ابن حَنبلِ

وبهذا تم المقصود، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي (ص: ٨٣).

(٢) من كلام الإمام الطبري رحمه الله المحنة للمقدسي (ص: ٩١).

تم جمع مادة الكتاب من عدة كتب أبرزها

١- سيرة الإمام أحمد بن حنبل لابنه صالح (٢٦٥هـ)

٢- محنة الإمام أحمد رواية حنبل بن إسحاق (٢٧٣هـ)

٣- المحن لأبي العرب (٣٣٣هـ)

٤- الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٣٨٧هـ)

٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٤٣٠هـ)

٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)

٧- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ (٥٢٦هـ)

٨- منازل الأئمة الأربعة ليحيىٰ السلماسي (٥٥٠هـ)

٩- الأنساب للسمعاني (٥٦٢هـ)

١٠- تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧١هـ)

١١- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٥٩٧هـ)

١٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥٩٧هـ)

١٣- المحنة علىٰ الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ)

١٤- سير أعلام النبلاء للذهبي (٧٤٨هـ)

١٥- الوافي بالوفيات للصفدي (٧٦٤هـ)

١٦- طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٧٧١هـ)

١٧- البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ)

١٨- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٧٩٥هـ)